

العمارة المصرية القديمة المرحلة الثانية

شيدت العمارة المصرية القديمة خاصة العامرة ذات الطابع الديني في خامات الحجر الصلب ، ولعل توافر الحجر في القصة المصرية ساهم الى حد كبير في ذلك ، وقد حافظت العمارة على نظمها وإنشائها الى فترات طويلة لاحقة ، ولعل من ابرز النماذج للعمارة المصرية القديمة في بلاد وادي النيل هي الاهرامات والمصاطب والمعابد ، وسنتناول بشيء من الايجاز كل منها .

1. الاهرامات :

ان الاهرامات ما هي الا قبور للفرعون فبعد ان كانوا يتخذون المصاطب مكاناً لدفنهم عمدوا الى بناء الاهرامات لتكون مقابر لهم ولعوائلهم ، ومن هذه الاهرامات الهرم المدرج (زوسر) والهرم المعوج (المنحني) والاهرام الصحيحة البالغة (3) اهرامات (اهرامات الجيزة) ، واكبرها (هرم خوفو) ، والاوسط (هرم خفرع) ، والصغير (هرم منقورع) ، وسوف نتناول هرم زوسر وهرم خوفو .

1-1 هرم زوسر (الهرم المدرج) :

بني هذا الهرم في عهد السلالة الثالثة أيام الملك (زوسر) وقد قام ببنائه المهندس (امحوتب) وقد شيده على مرتفع صخري في صقارة ويطل على العاصمة (منفس) .

هذا الهرم عبارة عن كتلة من الخور ذات شكل هرمي لست طبقات كل منها ذات شكل مستطيل اكبرها في الاسفل (القاعدة) بقياس (130×110م) وصغر هذه الطبقات في الاعلى ويصل ارتفاع الهرم الى (60م) وهو قريب الشبه من حيث مظهره الشكلي بـ(الزقورات) في العراق وكذلك (جوخه زمبيل) في ايران .

استقرت غرفة الدفن التي تحتوي على مومياء الملك في اعماق الارض وتحيط بها عدد كبير من الغرف والممرات وزينت الجدران بـ(القاشاني) الازرق وكدست

الاثاث الملكية في تلك الغرف كما زينت جدرانها بنصوص سحرية (طلاس) لنيل الخلود في الحياة الاخرى .

1-2 الهرم المعوج (المنحني) :

ويسمى أيضاً (هرم سنقرع) وقد بناه في الموقع المعروف بـ(دهشور) كقبر للفرعون (سنقرع) اول ملوك السلالة الرابعة ، وهذا الهرم ذو خصوصية تختلف عن كل الاهرامات الاخرى وله عدة تسميات فيسمى بالهرم (المعوج) او (المنحني) أو (المزيف) أو (المثلوم) ، فهو يبدو مائلاً الى الداخل بشكل فجائي بدلاً من يستمر بالارتفاع المحسوب والمقرر ، ولهذا الامر عدة تفسيرات فيعضهم يرى ان تم امالته بسبب وفاة الفرعون ، واخرون يرون انه تم امالته لأنه إذا استمر سيبلغ ارتفاعاً كبيراً ، ويتبع الهرم المعوج زوج من المعابد لعبادة الفرعون فضلاً عن الملحقات له ، والمعبدان احدهما هو المعبد الجنائزي والاخر معبد الوادي .

1-3 الاهرام الصحيحة (الكاملة) :

اشتهرت مصر في معمارها القديم بثلاث اهرامات صحيحة هي هرم خوفو وهرم خفرع وهرم منقورع .
- هرم خوفو :

وهو اكبر الاهرام المصرية وقد بني من مليونين وثلاثمائة ألف قطعة من الحجر زنة كل منها (2500كغم) وقد انجز بناء هذا الهرم بتشغيل (100000) عامل اكملوا بناءه في (20) سنة ، وارتفاع هذا الهرم هو (160م) يوجد الى شمال الهرم وجنوبه حفرتان كبيرتان وقد تم تحتها في الارض الحجرية وكانت بهيئة سفن وقد كانتا مسقفتين ومبيضتين بالحجر ، ويلحق بهذا الهرم كالعادة معبدان أحدهما قريب ويسمى (المبعد الجنائزي) والاخر البعيد نوعاً يسمى (معبد الوادي) .

إن الأهرام ومنها هذا الهرم ينفذ اليها بمدخل سري في مكان مرتفع من أحد واجهات الهرم إذ يكون ارتفاع المدخل في هرم خوفو (55قدم) ويمتد من المدخل

رواق عرضه (3قدم) ويغور في جسم الهرم الداخلي مخترقاً الارض الصخرية وبعد مسافة (345قدم) في المدخل يستمر الرواق أفقياً ليؤدي الى مجموعة من الممرات والغرف ومنها غرفة الدفن التي توجد فيها المومياة .

2. ابناءة المصاطب :

المصاطب اماكن مرتفعة من الارض ، فتسمية المصطبة او الدكة التي يجلس عليها الافراد في الريف المصري آنذاك والآن هي عبارة عن مكان للدفن يتكون من جزئين الاول مدفن يقع في بطن الارض يوضع به الميت ، والثاني فوق الارض ليكون قبراً .

ان المصاطب في العصر القديم كانت مدافن لجميع الناس ومنها الملوك بيد أن الفراعنة ابتكروا الاهرامات فأصبحت مدافن لهم وبقيت المصاطب للناس الاقل شأناً في الحياة .

إن المصاطب في شقها الواقع تحت الارض فيها تراكيب معقدة من الممرات والغرف التي يكون في احدها جسم المومياة التي تستقر بشكل ابدى فيها بعد تحنيطها فضلاً عن اخريات فيها الاثاث الجنائزي للمتوفى وقد زينت هذه الغرف بالمنحوتات البارزة والرسوم الجدارية الملونة ، وقد هجر الفراعنة المصاطب كمكان للدفن بعد ان عملوا الاهرامات كمذاق لهم ولعوائلهم وبقيت المصاطب للآخرين من غير الطبقة الحاكمة الفرعون وافراد عائلته .

3. المعابد :

شيدت المعابد المصرية القديمة من أحجار صلدة مقاومة للفناء لتدل على فكرة الأبدية .

كانت المعابد فيها أعمدة كثيفة كالغابات تحمل السقوف الحجرية الثقيلة ، وقد احتوت المعابد على شتى أنواع الفنون التشكيلية الأخرى كالنحت البارز والنحت المجسم والنحت الغائر على سطوح ذات بعدين ، فضلاً عن الرسوم الجدارية الملونة والكتابة الهيروغليفية ذات الطبيعة السحرية ، إذ أن الموضوعات الحياتية عرضت على جدران المساحات الخارجية في حين تكون المشاهد ذات الطابع الديني عميقاً في القاعات القدسية المسطحة .

المعابد المصرية لها طرز عديدة منها المعابد الملحقة بالأهرام ومعابد الشمس ومعابد الجبال .

- المعابد الملحقة بالأهرام :

وهما نوعان الأول هو المعبد الجنائزي ، والثاني معبد الوادي ، فالأول (الجنائزي) يكون لصيقاً بالهرم له وظيفة هي احتواء طقوس عبادة الملك وشعائرها من أجل تحقيق رحلته الأبدية ، وهو مبنى معماري أخذ تم ترتيبه بشكل مفرد برسوم جدارية وأعمال نحتية وكتابات هيروغليفية ملونة .

يتألف البناء المعماري من مدخل ضخم يؤدي الى قاعة مظلمة مزدوجة بالأعمدة وتقضي الى ممر ضيق ينتهي بساحة مكشوفة منتظمة الشكل محاطة بأروقة معروضة فيها تماثيل كثيرة للفرعون الإله لأغراض العبادة .

والنوع الثاني من المعابد الملحقة بالأهرام فهو (معد الوادي) ويكون موقعه بعيداً من الهرم قرب العاصمة الملكية ، ويرتبط هذا المعبد بممر طويل ومهيب بالهرم يتم اكسائه بأحجار جبلية وعلى جانبي هذا الممر انتشرت التماثيل المجسمة ذات الطابع الديني .

إن هذا المعبد يتكون من قاعتين أولهما مستعرضة والأخرى طولية ازدحمت كل منها بالأعمدة تحمل السقف الثقيل فتصبح مظلمة ، وسلطت من السقف حزم أشعة الشمس من ثقوب على تماثيل الآلهة حصراً .

- معابد الشمس :

هناك معابد للشمس في زمن الدولة القديمة كرسد لعبادة الإله (رع) الذي يتجسد بشكل رمزي في قرص الشمس .
وهذا النوع من المعابد عبارة عن مساحة منتظمة مكشوفة دائماً لكي يملأها ضوء الشمس في جميع الأرجاء وعزلت هذه المساحة بجدار منتظم ، وزينت واجهة الجدار الداخلية برسوم ، مشاهدها أخذت من الطبيعة بفصولها المختلفة .
إن هذه المعابد تحتوي على مسلة هرمية الشكل حجرية ذات ارتفاع شاهق تتوسط الساحات ، وقد عملت نهاياتها المدببة من الذهب كما نحتت سيقانها في الأرض الصخرية قرب المعبد كي يتمكن بواسطتها الإله (رع) من إتمام دورته اليومية في النهار إذ أنه يثير عالم الأحياء وليلاً يثير عالم الأموات .

- معابد الجبال :

إن هذا النوع من المعابد كانت تبنى بشكل ملاصق للجبال بعد قطع صخورها بجهود بشرية جبارة الأمر الذي أكسبها ضخامة خرافية وذلك من خلال سعي المعمارين الى إضافة نوع من التناسب بين ضخامة الجبال وضخامة المعابد الجبلية .

ظهر هذا النوع من المعابد في زمن الدولة المصرية الوسطى واستمر في زمن الدولة الحديثة ، ومن أشهر الامثلة عليها في زمن الدولة الوسطى معبد الفرعون (منتحوبتي) في الدير البحري ، ومن زمن الدولة الحديثة معبد الملكة (حتشبشوت) في الدير البحري أيضاً ، ويتألف هذا المعبد (الأخير) من ثلاث طبقات شيدت

بمستويات متصاعدة الارتفاع في كل منها رواق أمامي ضيق نحتت جدرانها لمشاهد نحتية لنشاطات الملكة الدينية والدينيوية .

إن الجزء المركزي للمعبد قد بني فوق الطابق الثالث وتتصدره ساحة مكشوفة على جانبيها صفيين من الأعمدة ويكون مكان التماثيل التعبديية في جدارها الخلفي الذي يغور في باطن الجبل .

- معابد الدولة الحديثة :

تتميز معابد الدولة الحديثة بتشابه طرازها وسماتها الفنية والمعمارية . تشيد هذه المعابد على أرض مستوية ذات أشكال مستطيلة وتمتد لمساحات واسعة يحيط بها سور حجري ضخم . يتألف كل معبد من ثلاث أجزاء رئيسية هي :

- الفناء الأمامي .

- قاعة الأعمدة .

- مقصورات الآلهة .

يزين مدخل المعبد برج ضخم تعلوه الأعلام كما توضع فيه الشعارات الرمزية المرتبطة بالفكر الاجتماعي لتلك الفترة .

يفضي المدخل الى فناء أمامي الذي هو عبارة عن ساحة مكشوفة يحيط بها رواق مسقف صفيين من ثلاث جهات يحمل سقفه صفيين من الأعمدة ويكون لاستراحة المتعبدين .

إن مداخل المعبد زينت بالتماثيل الملكية المعبودة وتوضع (2) أو (4) تماثيل ضخمة جداً ارتفاع كل منها يصل الى (30م) أمام بوابة المبعد ، وأشهرها تماثيل الفرعون رمسيس الثاني في معبد أجي سميل .

إن موضوعات النحت على السطوح المعمارية ذات البعدين كانت مواضيعها مشاهد من حياة الفرعون كالصيد والحملات الحربية على جدران الساحات الخارجية وقد نفذت بالنحت الغائر من أجل مقاومة عوامل الطبيعة .

الأعمدة في العمارة المصرية :

يعد العمود من أبرز السمات المعمارية المصرية ويمكن إجمال طرز الأعمدة التي استخدمت في العمارة المصرية بالاتي :

1. الأعمدة المربعة :

وتتميز بضخامتها وسطوحها الملساء وأشكالها تكون مربعة وتكون ذات تيجان تخلو من المشاهد الزخرفية .

2. الأعمدة البنائية :

وهي أعمدة تتحت على أشكال النباتات مثل ساق نبات البردي المنفرد وتيجانها تتفتح بشكل زهرة البردي وهو شعار منطقة الدلتا ، وبعض نماذجها لها تيجان يتم زخرفتها أشبه بسعف النخيل فتعرف عندئذ بالأعمدة النخيلية .

3. الأعمدة الهاتورية :

وتكون أبدانها على أشكال عدة فهي أما مربعة أو اسطوانية أو مضلعة وان تيجانها مزينة بشكل رأس الثور (هاتور) أما في جانبي التاج فقط أو جوانبه الأربعة وترمز الى فكرة النماء والتجدد في ظواهر الحياة في الفكر المصري القديم .

4. الأعمدة الاوزيرية :

وتكون أبدانها في أغلب الأحيان مربعة الشكل يثبت بموازاتها بشكل عمدي تمثال الإله (اوزيريس) الذي يرمز الى الوجود الأبدي والخلق والتجدد في عالم ما بعد الموت .

5. الأعمدة الشعارية :

وتسميتها مأخوذة من استخدام الشعارات فيها وتزين أبدانها أما زهرة اللوتس وهي شعار الجنوب المصري ، وتزين أبدانها بزهرة البردي وهي شعار الشمال المصري .

أبنية المقابر :

كانت المقابر قبل عصر الاهرامات عبارة عن المصاطب ، وقد كانت المصاطب لجميع الناس حتى الفرعون كان يدفن في مصطبة ، بيد أن المقابر في عصر الاهرامات قد تطورت عن المصاطب تطوراً كبيراً إذ أصبحت هناك داخل الهرم غرف عديدة تكون أحدها للمومياء والأخريات تحمل أثاث المتوفي الجنائزية ويلحق بالهرم معبدين أحدهما ملاصق للهرم يسمى المعبد الجنائزي ، والآخر بعيد نوعاً ما وهو معبد الوادي ، كما أصبحت غرفة الدفن مزينة الجدران بشتى أنواع الفنون التشكيلية .

وفي عهد الدولة الوسطى اختفت المصاطب وحلت محلها القبور المحفورة في صخور الجبال غرب النيل ، إذ تتألف حيز المقبرة في هذا العصر من قاعتين حمل السقف الحجري لكل منها على عدد من الأعمدة رتبت في صفين يؤدي الى قاعدتين أحدهما طولية والأخرى مستعرضة ، وقد زينت جدران القاعة الأولى (الطولية) بمشاهد الحياة اليومية للمتوفي باستخدام النحت والرسم الجداري ، في حين زينت جدران القاعة الداخلية (المستعرضة) بمشاهد ذات موضوعات دينية وكتابات هيروغليفية ذات مضامين سحرية .

أما في زمن الدولة الحديثة حيث فقدت الاهرامات أهميتها الرمزية ، إذ عمد ملوك فراعنة هذه الدولة الى اتخاذ مقابرهم في الجانب الغربي من نهر النيل المقابلة لعاصمتهم طيبة ، وعرفت هذه المنطقة الجنائزية ب(وادي الملوك) ، وهي تشبه الى حد كبير في أنظمتها المعمارية مقابر الدولة الوسطى ، الا أنها أكثر منها بعدد القاعات التي تنتهي بعمق الجبل بممر ضيق يقود الى سلم حفر الدفن تحت الأرض ، كما كثرت ودائع القبور نظراً للرخاء الاقتصادي الذي شهدته الدولة الحديثة .

فن النحت :

أولاً. النحت في الدولة القديمة عصر الاسرات :

يعد نحت الدولة القديمة من أزهى عصور فن النحت المصري ، وقد أتبع النحات المصري بعض القواعد والتقاليد من عقيدته آنذاك ، وتميز نحت هذا للعصر بخصائص أهمها :

1. التماثيل نحتت بأوضاع مختلفة ، واقفة ، جالسة على كرسي ، متربعة ، جالسة في وضع القرفصاء ، جالسة على الأرض .
2. في جميع الحالات الرأس والجسم يواجهان الناظر .
3. ليس بها أي التواء مما يعكس احتراماً للوظيفة وللنفس وللناس .
4. التماثيل الواقفة تقدم القدم اليسرى على اليمنى والجسم يتكى على الساق اليمنى.
5. عند النحات الى الاهتمام بأن يبقى التمثال سليماً دون كسر تتحاشى تفرغ الحجر بين الذراع والجسم ، وفي وضع الجلوس الساقان ملتصقان بالكرسي وكذلك عضلة الساق والكرسي .
6. وضع النحات للتماثيل عيوناً مستعارة مصنوعة من مواد مختلفة .
7. تماثيل الرجال عارية لو كانت للفرعون ويسترها رداء صغير يغطي الجزء الاوسط من الجسم من اسفل السرة الى ما فوق الركبة .
8. صنعت التماثيل من مواد وأحجار مختلفة / الكرانيت - الحجر الجيري - الديورايت - الشيست - البازلت - المرمر - الخشب - البرونز .

ومن أبرز الأمثلة على تماثيل هذا العصر تمثال الملك زوسر من الأسرة الثالثة .

ويمكن تلخيص جوانب هذا العمل الفني بالنقاط الآتية :

1. عمل من الحجر الجيري الأبيض .
2. يمثل الملك في حجمه الطبيعي جالساً على مقعد بسيط متدنثراً بعباءة طويلة.
3. على الرأس شعر كثيف تحوطه عصابة وله لحية ووجنتان بارزتان وشفتان غليظتان .

4. على الوجه تبدو ملامح الحزم والوقار .
5. ينظر الى الإمام ويداه مبسوطتان على الركبتين .

ثانياً. النحت في الدولة الوسطى :

تميزت هذه الفترة بعدم الاستقرار ولم تبقى من آثارها إلا تماثيل صغيرة توضع مع الميت بحسب العقيدة الدينية لهم ، كما وجدت تماثيل صغيرة من الحجر الجيري وأخرى من الخشب المغطى بطبقة من الجص للقدم وهم يقومون بأداء واجباتهم اليومية ، وعلى العموم كانت التماثيل غير متقنة ويسودها الطابع المثالي .

ثالثاً. النحت في الدولة الحديثة :

جمعت الدولة الحديثة بين واقعية الدولة الحديثة ومثالية من قبل الدولة الوسطى في مراحل ازدهارها ، وهناك حدثان هامان اثر على نحت هذه المرحلة ، الأول الفتوحات في آسيا وأتساعها وما خلفته من ترف ورخاء اقتصادي ، والثاني هو ثورة اخناتون الدينية التي تسبب في قيامها ثورة فكرية شاملة في العقلية المصرية في شتى الأصعدة ، ومن أبرز مميزات تماثيل هذه المرحلة الآتي :

1. اتسمت التماثيل بالقوة والصلابة .
 2. اكتسبت أناقة وجاذبية وإحساس بالجمال كما في القوالب التشكيلية .
 3. الاهتمام بتصوير الحقيقة الباطنية للأشخاص وإظهارها في التماثيل .
 4. الاهتمام بالثياب والادوية الحديثة التي حلت محل القديمة .
 5. الاستطالة في الأجسام والليونة في الأوضاع .
 6. اهتمام النحات بنحت الأيدي والأقدام اهتماماً كبيراً .
- ومن أبرز المائلة على ذلك تمثال يمثل الملك تحتمس الثالث من الأسرة (18) ويتميز هذا التمثال بالآتي :

1. معمول من الحجر الشبيست الضارب الى الخضرة .
2. نحت الفرعون في وضعية وقوف تقدمت ساقه اليسرى قليلاً .

3. يظاً بساقه اليسرى المتقدمة أقواساً تسعة هي رمز للبلاد الأجنبية التي خضعت لوصايته .
4. نحت الملك يرتدي رداءً بسيطاً قصيراً وصدرة عاري .
5. ملامح وجه الملك المحارب واضحة على وجهه .
6. نحتت هذه الملامح بخطوط رقيقة .

خصائص النحت :

1. صور النحات المصري تماثيله في وضع المجابهة وفي جميع الحالات سواءً كانت واقفة أو جالسة سائرة أو ساكنة .
2. تستند التماثيل الواقفة بكل ثقلها على مشط القدمين الاثنتين ولا نجد تماثيل مصري واقفاً على قدم واحدة مستنداً بنهاية قدمه الثابتة على الارض .
3. جميع التماثيل الواقفة تمد أرجلها اليسرى الى الامام قليلاً .
4. نحت النحات المصري القديم تماثيل النساء والأطفال في حالة الراحة وان أفخاذها ملتحمة .
5. تكون التماثيل خاصة عندما تكون من الخشب أو الجص وبألوان الطبيعة .
6. استعمل النحات المصري خامات مختلفة في صناعة تماثيله .
7. عند استخدام مواد مختلفة تبدو تماثيله أكثر واقعية مثل وضع أحجار ملونة في تجويف العين واجفان من النحاس وهكذا .

خصائص فن التصوير :

1. وظف التصوير غالباً لأغراض جنائزية وتطور بفعل عقيدة الإنسان المصري القديم فيما يتعلق بالموت والحياة الأخرى .

2. عمد الى زخرفة جدران القبور بمختلف مظاهر الحياة التي يألفها المتوفي ليستأنس بها عندما تعود اليه الروح .
3. يرسم الموضوع بشكل حقول أفقية (عرضية) متوازية اشبه بالاشرطة .
4. رسم الشخص بحجم يتناسب ومكانته في الحياة صغيراً أو كبيراً .
5. وضعت طريقة لظهور الشخصيات بالمشهد فالملوك وكبار الموظفين يظهرون بحجم كبير وصدورهم باتجاه المشاهد رغم أنهم بوضع جانبي أما عامة الناس فيصورون بوضع جانبي كلياً .
6. يتسم التصوير المصري بالتعبيرية في تصوير الحادثة بشكل تقريبي وممزوج مع الكتابة الهيروغليفية .
7. استخدام طريقة المواجهة لكن في الرسم كانت بأن يرسم الرأس جانبياً أما العين فكانت مواجهة للناظر وكذلك الصدر والفخذين والقدمين تصور بطريقة جانبية.
8. لم يستخدم المنظور في التصوير بل كانت الأشخاص ترسم من حيث حجمها بحسب مكانتها الاجتماعية لذلك كان الفرعون دائماً أكبر حجماً .

خصائص الفنون التطبيقية :

تطورت الفنون التطبيقية بشكل كبير بيد أن أقصى تطورها بلغت في الدولة الوسطى والدولة الحديثة وخير دليل لى ذلك هو ما تم العثور عليه في مقبرة (توت غنج أمون) .

تمتاز الفنون التطبيقية بالاتي :

1. استعمال مختلف الخامات في الفنون التطبيقية مثل العاج والذهب والزجاج والأحجار الكريمة والرخام والابنوس .
2. الاعتماد على صيغ نباتية استوحيت من زهرة اللوتس والبردي أو النخيل فضلاً عن رسوم رمزية ذات أصول إنسانية وحيوانية .

3. الأصول الفنية بين الفنون التشكيلية والفنون الزخرفية واحدة سواء في الموضوع أو تكوين الخامات .
4. صورت الأشكال على الأثاث والحلي والعربات والمراكب والتوابيت والأواني والمرايا والكؤوس .
5. موافقة الهندسة المعمارية لهندسة زخرفية (ديكور) دائماً واعتمدت الأصول الفنية المصرية العامة ذاتها .